النور المقتبس ببيان المناسبات في سورة عبس

The light corelated by explanation of the occasions in Abs Surah

بحث تقدم به

المدرس المساعد: وسام احمد كروت صالح

Asst. Lecturer: Wissam Ahmed Karut Saleh

١٤٤٥هـ ٢٠٢٣م

الملخص

لا شك أن علم المناسبات من أرفع العلوم؛ لتعلقه بأرفع كلام ألا وهو كلام الله تعالى؛ ففيه تظهر قوة ترابط الكلمات القرآنية ببعضها، والآيات كذلك، والسور القرآنية، حيث يظهر في ذلك أن القرآن هو كلام الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل منه عز وجل.

ففي هذه الدراسة تناولت أبرز ما ذكره العلماء في ترابط الآيات الكريمة في سورة عبس، ثم أخذ الدروس والعبر من القصة التي تناولتها السورة الكريمة.

Abstract

There is no doubt that the discipline of occasion is one of the highest disciplines because it relates to the highest speech, which is the speech of Almighty Allah. It shows the strength of the interconnectedness of the Qur'anic words with each other, as well as the Qur'anic verses and surahs. It also makes clear that the Qur'an is the miraculous word of Allah. Falsehood does not come from before it or from behind it as a revelation from Him, Glory be to Him. In this study, I discussed the most prominent things that scholars mentioned regarding the interconnectedness of the noble verses in Surat Abs, and then I took lessons from the story that the noble surah dealt with.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي أيَّد الله عز وجل بها رسوله عليه الصلاة والسلام، والخطاب العام الموجه لجميع العقول والأفهام، والعصمة والشفاء من كافة الأدواء والأسقام، والطهارة والبراء من ظلمات الشك والأوهام، خصه تعالى بنزوله مفرقا حسب الحوادث وتدرج الأحكام، وجمعه عز وجل جمعا في غاية الإحكام والانتظام، حتى صار ترتيبه علما من علومه عني به المفسرون القدامى والمحدثون عناية بالغة؛ فمن خلاله نقف على وجه من وجوه إعجاز القرآن فضلا عن فهم المعاني ومعرفة المقاصد والترجيح بين الآراء، وإزالة اللبس، فمن هذا المنطلق عني به المفسرون القدامى والمحدثون مع اختلاف درجات اهتمامهم ومدى تعمقهم في هذا الموضوع، ومن ذلك علم المناسبات الذي عده كثير من العلماء من وجوه إعجاز القرآن الكريم؛ لأجل ذلك اخترت عنواناً أكتب فيه ما يفتح الله به عليَّ وهو **(النور المُقْتَبَس ببيان المناسبات في سورة عبس)** وقد قسمت الموضوع على مبحثين درست في المبحث الأول التعريف بعلم المناسبات، وسورة عبس، والمبحث الثاني: دراسة تطبيقية للمناسبات في سورة عبس، وخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج ثم المصادر والمراجع.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان الحسنات، وأن يعفو عما حصل فيه من الزلل والهفوات.

المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبات.

أولاً: تعريف المناسبة لغة واصطلاحاً.

المناسبة لغة: "(النون، والسين، والباء) كلمة واحدة، قياسها اتصال شيء بشيء، ومنه النسب، سمي لاتصاله، وللاتصال به تقول: نسبت أنسب. وهو نسيب فلان، والنسيب: الطريق المستقيم؛ لاتصال بعضه من بعض"[١] وتقول: ليس بينهما مناسبة، أي: مشاكلة [٢]، والمشاكلة بمعنى: المماثلة، تقول: هذا شكل هذا، أي: مثله. فالمناسبة في اللغة تعني: الاتصال، والمقاربة، والمماثلة.

والمناسبة في الاصطلاح:

هي بيان ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني[٣].

أو هي وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أوبين السورة والسورة [٤].

ويبدو توافق المعنى اللغوي للمعنى الاصطلاحي للمناسبة؛ فكلاهما يعني: أن الآية وجارتها شقيقتان، يربط بينهما رباط من نوع ما، كما يربط النسب بين المتناسبين، غير أن ذلك لا يعني أن تكون الآيتان أو الآيات متماثلة كل التماثل، بل ربما يكون بينها تضاد، أو تباعد في المعنى، المهم أن هناك صلة، أو رابط ما يربط بين الآيتين، أو يقارب بينهما، سواء توصل إليها العلماء أم لا، فقد تظهر أحيانا، وتختفي أحيانا أخرى، وفي هذا مجال لتسابق الأفهام[٥].

ثانيا: فائدة المناسبات وأهميتها:

إن الناظر في كتب التفسير وعلوم القرآن؛ يدرك تماماً أهمية هذا العلم، فللزمخشري كلام لطيف في بيان أهميته؛ إذ يقول: "وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها

---

(١) مقاييس اللغة: ٤٢٣/٥.

(٢) ينظر: لسان العرب: ٤٤٠٥/٦.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ٣/ ٣٦٩.

(٤) ينظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان: ٩٦.

(٥) ينظر: المناسبات بين الآيات والسور: ١٣.

مناد على نفسه بلسان طلق ذلق: أنه ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه"[١].

وقال في موضع آخر: "فانظر إلى بلاغة هذا الكلام، وحسن نظمه وترتيبه، ومكانة إضماده، ورصانة تفسيره، وأخذ بعضه بحجزة بعض، كأنما أفرغ إفراغاً واحداً، ولأمر مّا أعجز القوي وأخرس الشقاشق"[٢].

وممن أكثر فيه الإمام فخر الدين الرازي، ويجسد ذلك قوله: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[٣].

وقال أيضاً: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها؛ علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب اسلوبه أرادوا ذلك"[٤].

وما أروع ما قاله الزركشي: اعلم أن المناسبة علم شريف، تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض؛ فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء [٥] .

كما نجد السيوطي يقول: "وعلم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به؛ لدقته"[٦].

ثالثا: أنواع المناسبات[٧].

للمناسبات ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مناسبة فواتح السور لخواتمها:

من ذلك ما في سورة القصص، فقد بدأت بقصة موسى عليه السلام، والوعد برده إلى أمه، ودعائه ألا يكون ظهيراً للمجرمين. ثم ختم الله السورة بتسلية رسولنا –صلّى الله

(١) الكشاف: ٢/٥٠٠.

(٢) الكشاف: ٣/٣٩٢.

(٣) مفاتيح الغيب، ١٠/ ١١٠.

(٤) مفاتيح الغيب: ٧/١٠٦.

(٥) البرهان في علوم القرآن: ١/٣٥.

(٦) الإتقان في علوم القرآن، ٣/ ٣٦٩.

(٧) ينظر: البرهان في علوم القرآن، ١/ ٣٧_٣٨، و الإتقان في علوم القرآن، ٣/ ٣٧٢.

عليه وسلّم– بخروجه من مكة، ووعده بالرجوع إليها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾(١)، وقد عاد إليها فاتحًا منتصرًا، وقيل له: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾(٢).

القسم الثاني: مناسبة افتتاح السورة لخاتمة ما قبلها:

في هذا القسم يكون النظر إلى ما فتحت به وما ختمت به لإظهار وجه الترابط بينهما وفي ذلك يقول الزركشي: "وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة؛ وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى كافتتاح سورة فاطر بـ {الحمد} فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح فإنه مناسب لختام سورة الواقعة من الأمر به"(٣).

القسم الثالث: مناسبة افتتاح السورة لمقاصدها:

فسورة الإسراء افتتحت بالتسبيح بقوله: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٤)، وسورة الكهف وهي تالية لها في الترتيب افتتحت بالحمد، بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾(٥).

قال ابن الزملكاني: "إن سورة (سبحان) لما اشتملت على الإسراء الذي كذب المشركون به النبي –صلّى الله عليه وسلّم–، وتكذيبه تكذيب لله سبحانه وتعالى، أتى بـ (سبحان) لتنزيه الله تعالى عما نسب إلى نبيه من الكذب، وسورة الكهف لما أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف، وتأخر الوحي؛ نزلت مبينة أن الله لم يقطع

(١) سورة القصص، من الآية: ٨٥.
(٢) سورة القصص، من الآية: ٨٦.
(٣) البرهان في علوم القرآن: ٣٨/١.
(٤) سورة الإسراء، من الآية: ١.
(٥) سورة الكهف، الآية: ١.

نعمته عن نبيه، ولا عن المؤمنين، بل أتم عليهم النعمة بإنزال الكتاب؛ فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة"[١].

القسم الرابع: المناسبة بين اسم السورة وموضوعاتها:

وهنا ينبغي أن يؤخذ بنظر الاعتبار كون اسم السورة توقيفيًا أي: ثابتًا عن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نستنبط وجه المناسبة بين اسم السورة وموضوعاتها، مثال ذلك اسم سورة الكهف فلو نظرنا إلى هذا الاسم وإلى موضوعات السورة؛ لوجدنا بين الاسم والموضوعات مناسبة لطيفة وهي أن من تدبر الموضوعات المعروضة في هذه السورة الكريمة، ولجأ إليها؛ كانت له كالكهف الحصين من الفتن جميعها، كما ذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن كان الوضع الذي لجأ إليه الفتية كهفًا محسوسًا ملموسًا، فإن الكهف الذي يأوي إليه قارئ هذه السورة كهف معنوي من عناية الله سبحانه وتعالى وحفظه وستره، فلا تؤثر فيه الفتن المعروضة من الشهوات والشبهات ولو كانت مثل قطع الليل المظلم[٢].

القسم الخامس: المناسبة بين الآيات:

وهذا ما سندرسه دراسة تطبيقية في سورة عبس إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني:
التعريف بسورة عبس

أولاً: اسم السورة:

وردت أسماء متعددة لهذه السورة، أشهرها ما سميت به في المصاحف، وكتب التفسير، وكتب السنة، وهي: (سورة عبس)[٣]، وتسمى (سورة الصاخة)[٤]، وتسمى(سورة

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٣٨٧/٣.

(٢) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم، ص:١٧٩.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٠١/٣٠.

(٤) ينظر: عناية القاضي وكفاية الراضي: ٣١٩/٨.

السفرة)[١]، وتسمى سورة (الأعمى)[٢]، وكل ذلك تسمية بألفاظ وقعت فيها لم تقع في غيرها من السور.

ثانياً: ترتيبها وعدد آياتها:

عدت سورة عبس الرابعة والعشرين في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة (النجم) وقبل سورة (القدر)، وعدد آيها عند العادين من أهل المدينة وأهل مكة وأهل الكوفة اثنتان وأربعون، وعند أهل البصرة إحدى وأربعون، وعند أهل الشام أربعون، وهي أولى السور من أواسط المفصل[٣].

ثالثاً: سبب نزولها:

ذكر الواحدي أنها نزلت في ابن أم مكتوم؛ وذلك أنه أتى النبي –صلّى الله عليه وسلّم– وهو يناجي عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب، وأبيا وأمية ابني خلف، ويدعوهم إلى الله تعالى، ويرجو إسلامهم، فقام ابن أم مكتوم وقال: يا رسول الله، علمني مما علمك الله، وجعل يناديه ويكرر النداء، ولا يدري أنه مشتغل مقبل على غيره، حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–؛ لقطعه كلامه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد: إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد فعبس رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– وأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآيات، فكان رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– بعد ذلك– يكرمه، وإذا رآه قال: مرحبا بمن عاتبني فيه ربي [٤].

رابعاً: أهداف السورة الرئيسة:

موضوع السورة كسائر موضوعات السور المكية التي تعنى بالعقيدة والرسالة والأخلاق، التي قوامها في الإسلام المساواة بين الناس، دون تفرقة بين غني وفقير، وأهدافها هي:

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٥٢/٢٠.

(٢) ينظر: روح المعاني: ٢٤١/١٥.

(٣) ينظر: البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو الداني، ص٢٦٤.

(٤) ينظر: أسباب النزول، للواحدي: ٤٧١.

* تعليم الله رسوله -صلّى الله عليه وسلّم- الموازنة بين مراتب المصالح ووجوب الاستقراء لخفياتها؛ لئلا يفوّت الاهتمام بالمهم منها في بادئ الرأي أمراً مهما آخر مساويا له في الأهمية أو أرجح (١).

فنجد أن السورة ابتدأت بذكر قصة الأعمى عبد الله بن أم مكتوم ابن خال خديجة بنت خويلد الذي قدم إلى الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- للتعلم، في وقت كان فيه مشغولا مع جماعة من صناديد قريش يدعوهم إلى الإيمان، فعبس النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وجهه وأعرض عنه، فعاتبه الله بقوله: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ في الآيات [١-١٦]' وأبانت أن القرآن ذكرى وموعظة لمن عقل وتدبر.

* ثم نددت بجحود الإنسان وكفره بنعم ربه وإعراضه عن هداية الله: ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴾ في الآيات [١٧-٢٣].

* وأردفت ذلك بإقامة الأدلة على قدرة الله ووحدانيته بخلق الإنسان والنبات وتيسير طعام ابن آدم وشرابه، لإثبات القدرة على البعث: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ في الآيات [٢٤-٣٢].

* وختمت السورة بوصف أهوال يوم القيامة، وفرار الإنسان من أقرب الناس إليه، وبيان حال المؤمنين السعداء والكافرين الأشقياء في هذا اليوم(٢):﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ في الآيات [٣٣-٤٢].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٠٢/٣٠.

(٢) التفسير المنير للزحيلي: ٥٧/٣٠.

المبحث الثاني

دراسة تطبيقية لعلم المناسبات.

المطلب الأول

مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

أولاً: مناسبة السورة لما قبلها.

السورة التي سبقت سورة عبس هي سورة النازعات، ومما وورد فيها قصره سبحانه للنبي –صلّى الله عليه وسلّم– على إنذاره من يخشى في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخشَىٰهَا﴾[١] وذكر الله عز وجل في هذه السورة من ينفعه الإنذار ومن لم ينفعه[٢].

قال الإمام أبو جعفر بن الزبير: "لما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبرَةً لِّمَن يَخشَىٰٓ﴾[٣]، وقال بعدها ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخشَىٰهَا﴾؛ افتتحت هذه السورة بمثال يكشف عن المقصود من حال أهل التذكر والخشية، وجميل الاعتناء الرباني بهم، وأنهم وإن كانوا في دنياهم ذوي خمول لا يؤبه لهم فهم عنده سبحانه في عداد من اختاره لعبادته"[٤]

ثانياً: مناسبة السورة لما بعدها:

لما ختم الله سبحانه وتعالى سورة عبس بذكر يوم القيامة وأهوالها؛ افتتح هذه السورة أيضًا بذكر علاماتها وأحوالها وأهوالها، وذكر ما يكون فيه من حوادث عظام؛ تفخيماً لشأنه، وبين أنه حين تقع هذه الحوادث؛ تعلم كل نفس ما قدمت من عمل خير أو شر، ووجدت ذلك أمامها ماثلًا، ورأت ما أعدّ لها من جزاء، وتمنت _ إن كانت من أهل الخير_ أن لو كانت زادت منه، وإن كانت من أهل الشر أن لو لم تكن فعلته، واستبان لها أن الوعد الذي جاء على ألسنة الرسل كان وعدًا صادقًا، لا تهويل فيه ولا تضليل[٥]،

---

(١) سورة النازعات الآية: ٤٥.

(٢) نظم الدرر: ٢٥٠/٢١، روح المعاني: ٢٤١/١٥.

(٣) سورة النازعات، الآية: ٢٦.

(٤) نظم الدرر: ٢٥٢/٢١.

(٥) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: ١٥٤/٣١.

فصور ذلك اليوم بما يكون فيه من الأمور الهائلة من عالم الملك والملكوت حتى كأنه رأي عين[١].

المطلب الثاني:
المناسبات بين محاور السورة.

اشتملت هذه السورة على خمسة محاور رئيسة:

المحور الأول: التقوى ميزان التفاضل.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ (٢) وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣) أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ (٤) أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخۡشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾[٢].

المعنى الإجمالي:

«العبوس»: تقطب الوجه وارباده عند كراهية أمر[٣]؛ فقطب النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وجهه، وأعرض؛ أن جاءه الأعمى وقطع كلامه، وهو عبد الله بن أم مكتوم، فكره رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- أن يقطع عليه ابن أم مكتوم كلامه؛ فأعرض عنه، وعذر ابن أم مكتوم أنه لم يدر بتشاغل النبي -صلّى الله عليه وسلّم-.

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ أي: وما يعلمك ويعرفك يا محمد لعل الأعمى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح بسبب ما يتعلمه منك، أو يتذكر فيتعظ بما يسمع منك من المواعظ، فتنفعه الموعظة[٤].

ومن هاهنا أمر الله عز وجل رسوله -صلّى الله عليه وسلّم- ألا يخص بالإنذار أحداً، بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف، والفقير والغني، والسادة والعبيد، والرجال

---

(١) ينظر: نظم الدرر: ٢٧٥/٢١.

(٢) سورة عبس، الآيات: ١-١٠ .

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤٣٦/٥.

(٤) ينظر: التفسير المنير للزحيلي: ٦١/٣٠.

والنساء، والصغار والكبار. ثم الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة [١].

المناسبة:

مناسبة قوله تعالى (عبس) واستغناءه عن الاستفتاح بلفظ عبست فجاء افتتاح هذه السورة بفعلين متحملين لضمير لا معاد له في الكلام؛ تشويقاً لما سيورد بعدهما، والفعلان يشعران بأن المحكي حادث عظيم، ولما كان صدور ذلك من الله تعالى لنبيه –صلّى الله عليه وسلّم–؛ لم يشأ الله أن يفاتحه بما يتبادر منه أنه المقصود بالكلام؛ فوجهه إليه على أسلوب الغيبة؛ ليكون أول ما يقرع سمعه باعثاً على أن يترقب المعني من ضمير الغائب؛ فلا يفاجئه العتاب، وهذا تلطف من الله تعالى برسوله –صلّى الله عليه وسلّم–؛ ليقع العتاب في نفسه مدرجاً وذلك أهون وقعا [٢].

مناسبة وصف ابن أم مكتوم بـ(الأعمى)

جاء الوصف بذلك؛ للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام الرسول –صلّى الله عليه وسلّم–؛ لأنه لو كان يرى ما هو مشتغل به مع صناديد الكفار لما قطع كلامه[٣].

وقال الفخر الرازي: "ذكره بلفظ الأعمى ليس لتحقير شأنه، بل كأنه قيل: إنه بسبب عماه؛ استحق مزيد الرفق والرأفة، فكيف يليق بك يا محمد أن تخصه بالغلظة"؟[٤].

لذا يكون ذكره بهذا الوصف من باب التعريض بغيره من أولئك الصناديد وسادة القوم، وكأنه يقول لهم[٥]: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[٦].

قال ابن عطية: "وذكر الله تعالى ابن مكتوم بصفة العمى؛ ليظهر المعنى الذي شأن البشر احتقاره، وبين أمره بذكر ضده من غنى ذلك الكافر، وفي ذلك دليل على أن ذكر هذه العاهات متى كانت المنفعة، أو لأن شهرتها تُعرِّف السامع صاحبها دون لبس جائز،

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ٣١٩/٨.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٠٥/٣٠.

(٣) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: ٢٥٢.

(٤) مفاتيح الغيب: ٥٣/٣١.

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٤٣٠/٨.

(٦) سورة الحج، من الآية: ٤٦.

ومنه قول المحدثين سليمان الأعمش وعبد الرحمن الأعرج وسالم الأفطس، ونحو هذا ومتى ذكرت هذه الأشياء على جهة التنقيص؛ فتلك الغيبة"[١].

المحور الثاني: القرآن موعظة وتذكرة.

﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴾ [٢].

المعنى الإجمالي:

يقول تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴾ أي: حقا إن هذه الموعظة تذكرة من الله، يذكر بها عباده، ويبين لهم في كتابه ما يحتاجون إليه، ويبين الرشد من الغي، فإذا تبين ذلك ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ أي: عمل به، ثم ذكر محل هذه التذكرة وعظمها ورفع قدرها، فقال: ﴿ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ ﴾ القدر والرتبة ﴿ مُّطَهَّرَةِۭ ﴾ عن أن تنالها أيدي الشياطين أو يسترقوها، بل هي ﴿ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴾ وهم الملائكة السفراء بين الله وبين عباده، ﴿ كِرَامِۭ ﴾ أي: كثيري الخير والبركة، ﴿ بَرَرَةٖ ﴾ قلوبهم وأعمالهم، وذلك كله حفظ من الله لكتابه، أن جعل السفراء فيه إلى الرسل الملائكة الكرام الأقوياء الأتقياء، ولم يجعل للشياطين عليه سبيلا وهذا مما يوجب الإيمان به وتلقيه بالقبول، ولكن مع هذا أبى الإنسان إلا كفورا[٣].

المناسبة:

سنبين هنا المناسبة بين هذا المحور والذي قبله من وجهين الأول: كأنه قيل: هذا التأديب الذي أوحيته إليك، وعرفتك به في إجلال الفقراء، وعدم الالتفات إلى أهل الدنيا أثبت في اللوح المحفوظ الذي قد وكل بحفظه أكابر الملائكة.

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٤٣٧.

(٢) سورة عبس الآيات: ١٠- ١٦.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: ٩١١.

الثاني: كأنه قيل: هذا القرآن قد بلغ في العظمة إلى هذا الحد العظيم، فأي حاجة به إلى أن يقبله هؤلاء الكفار؟!، فسواء قبلوه أم لم يقبلوه؛ فلا تلتفت إليهم، ولا تشغل قلبك بهم، وإياك والاعراض عمن آمن به؛ تطييبا لقلوب أرباب الدنيا [١].

ونجد لابن عاشور منحى آخر في بيان المناسبة بقوله: والمناسبة وصف القرآن بأنه تذكرة لمن شاء أن يتذكر، ولما كان أكبر دواعيهم التكذيب بالقرآن؛ فإنه أخبر عن البعث، وطالبهم بالإيمان به؛ فكان الاستدلال على وقوع البعث أهم ما يعتنى به في هذا التذكير، وذلك من أفنان قوله: فمن شاء ذكره [٢].

المحور الثالث: جحود الإنسان وكفره الفاحش لربه.

قال تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ [٣].

المعنى الإجمالي:

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ أي: ما أقبح كفره، وأوحشه، وأشنعه؛ لأنه علم أن جميع ما أنعم به من النعيم فمن اللَّه – تعالى – ثم هو لم يشكر نعمه، ولا أطاعه فيما دعاه إليه؛ بل وجه شكر نعمه إلى من لا ينفعه ولا يضره، وعند من لا يسمع، ولا يبصر، ولا يغني عنه شيئا، وما هذا إلا غاية الفحش ونهاية القبح[٤]﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ من أي شيء حقير مهين خلقه، ثم بين ذلك الشيء بقوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ فهيأه لما يصلح له ويختص به، ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمّه، أو السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر بأقداره وتمكينه، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: بين له سبيل الخير والشر ﴿فَأَقْبَرَهُ﴾ فجعله ذا قبر يوارى فيه؛ تكرمة له، ولم يجعله مطروحاً على وجه الأرض جزراً للسباع والطير كسائر الحيوان!![٥].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣١/٥٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/١١٩-١٢٠.

(٣) سورة عبس، الآيات: ١٧-٢٣.

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة، للماتريدي، ١٠/ ٤٢٣.

(٥) ينظر: الكشاف: ٤/٧٠٢.

المناسبة:

تضمنت هذه الآيات دعاء على الانسان الجاحد بأشنع دعاء، وتعجيباً من إفراطه في ستر محاسن القرآن التي لا تخفى على أحد، ودلائله على القيامة، وكل شيء لا يسع أحداً التغبير في وجه شيء منها، وهذا الدعاء على وجازته يدل على سخط عظيم وذم بليغ، ولما كان أكثر انصباب التعجيب منه ناظراً إلى تكذيبه بالساعة؛ شرع في إقامة الدليل عليها بآية الأنفس من ابتداء الخلق في أسلوب مبين لخسته وحقارته، وأن من ألبسه أثواب الشرف بعد تلك الخسة والحقارة؛ جدير منه الشكر لا الكفر، ولما كانت مدة البرزخ طويلة، وكان البعث أمراً محققاً غير معلوم الوقت بالعين لغيره تعالى؛ عبر عن المعاني الثلاثة بأداتي التراخي والتحقق فقال: ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾ أي إنشاره ﴿ أَنشَرَهُۥ ﴾ أي بعثه من قبره[١].

ونلحظ لابن عاشور نكتة بقوله: وفي ذلك مناسبة لقوله بعده: ثم أماته فأقبره، ف أماته مقابل خلقه و (أقبره) مقابل ثم السبيل يسره؛ لأن الإقبار إدخال في الأرض، وهو ضد خروج المولود إلى الأرض [٢].

(١) نظم الدرر: ٢٥٩/٢١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢٣/٣٠.

المحور الرابع: توجيه القلب البشري إلى أمسّ الأشياء به.

قال تعالى: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٢٦) أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ (١).

المعنى الإجمالي:

ثم شرع سبحانه في تعداد نعمه على عباده؛ ليشكروها، وينزجروا عن كفرانها بعد ذكر النعم المتعلقة بحدوثه فقال: فلينظر الإنسان إلى طعامه أي: ينظر كيف خلق الله طعامه الذي جعله سبباً لحياته؟ وكيف هيَّأ له أسباب المعاش؛ يستعد بها للسعادة الأخروية؟ ثم بين ذلك سبحانه فقال: أنا صببنا الماء صبا وأراد بصب الماء المطر، ثم شققنا الأرض شقا أي: شققناها بالنبات الخارج منها؛ بسبب نزول المطر شقاً بديعاً، لائقا بما يخرج منه في الصغر والكبر والشكل والهيئة، ثم بين سبب هذا الشق وما وقع لأجله فقال: فأنبتنا فيها حبا يعني الحبوب الذي يتغذى بها، والمعنى: أن النبات لا يزال ينمو، ويتزايد إلى أن يصير حباً، وقوله: وعنبا معطوف على «حبا»، أي: وأنبتنا فيها عنبا، والقضب: هو القت الرطب الذي يقضب مرة بعد أخرى، وهو ما تعلف به الدواب؛ ولهذا سمي قضباً على مصدر قضبة وأهل مكة يسمون القت القضب.(٢)، والزيتون: هو ما يعصر منه الزيت، وهو شجرة الزيتون المعروفة، والنخل هو جمع نخلة وحدائق غلبا جمع حديقة، وهي البستان، والغلب: العظام الغلاظ الرقاب.

وجمع أغلب وغلباء غلب، كما جمع أحمر وحمراء على حمر، وقال قتادة وابن زيد: الغلب: النخل الكرام.

---

(١) سورة النازعات، الآيات: ٢٤ _٣٢.

(٢) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي،٢٨/ ٤٤١.

وعن ابن زيد أيضا وعكرمة: هي غلاظ الأوساط والجذوع. والفاكهة: ما يأكله الإنسان من ثمار الأشجار كالعنب والتين والخوخ ونحوها. والأب: كل ما أنبتت الأرض مما لا يأكله الناس ولا يزرعونه من الكلأ وسائر أنواع المرعى(١).

المناسبة:

مناسبة هذا المحور للذي قبله لما ردع الله تعالى الانسان الجاحد بعد تفصيل ما له في نفسه من الآيات، وأشار إلى ما له من النقائص، شرع بإقامة الدليل على تقصيره بعدم شكر نعمة المنعم فيما له من المطعم الذي به قوامه، فكيف بغيرها في أسلوب دال على الإنشار بآيات الآفاق، منبه على سائر النعم في مدة بقائه المستلزم لدوام احتياجه إلى ربه(٢).

ولما كان المقصود النظر إلى صنائع الله تعالى فيه، وكانت أفعال الإنسان وأقواله في تكذيبه بالبعث أفعال من ينكر ذلك الصنع؛ قال سبحانه مفصلاً لما يشترك في علمه الخاص والعام من صنائعه في الطعام، مؤكداً منبهاً على أن التكذيب بالبعث؛ يستلزم التكذيب بإبداع النبات وإعادته، وذلك في أسلوب مبين أن الإنسان محتاج إلى جميع ما في الوجود، ولو نقص منه شيء؛ اختل أمره، وبدأ أولاً بالسماوي؛ لأنه أشرف، وبالماء الذي هو حياة كل شيء؛ تنبيهاً له على ابتداء خلقه

ولما كان الحب قوتاً؛ فبدأ به؛ لأنه الأصل في القوام، وعطف عليه ما هو فاكهة وقوت، فكان ذلك بياناً لعجائب الصنع؛ ليدل على القدرة على كل شيء؛ فيدل على القدرة على البعث؛ فذكر أن ما أخذ من منبته قبل بلوغه؛ فسد، وإن ترك؛ اشتد وصلح للادخار، واتبعه أن ما ترك على أصله؛ فسد، وإن أخذ وعولج؛ صلح(٣).

ولما ذكر ما لا يصلح أن يؤكل إلاّ رطباً من غير تأخير؛ أتبعه ما لا يفسد بحال لا على أمة، ولا بعد القطاف، ويصلح بعد القطاف؛ فيؤكل أو يعصر؛ فيكون له دهن للاستصباح والإدهان والائتدام، وفيه تقوية للعظام والأعصاب، ولا يفسده الماء بوجه كما

---

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني: ٤٦٥/٥.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٦٤/٢١.

(٣) ينظر: نظم الدرر: ٢٦٤/٢١_٢٦٥.

أن العنب يعصر؛ فيكون منه دبس وخل وغيرهما، ولما ذكر هذه الأشياء من الأقوات والفواكه؛ لكثرة منافعها، وكانت البساتين تجمعها وغيرها مع ما لها من بهجة العين، وسرور النفس، وبسط الخاطر، وشرح القلب، ولما جمع ما يقتات وما يتفكه؛ فدل دلالة واضحة على تمام القدرة، ذكَّر بالنعمة فيه قارعاً بأسلوب الخطاب؛ لتعميم الأفراد بعد سياق العتاب؛ للتصريح بأن الكل عاجزون عن الوفاء بالشكر، فكيف إذا انضم إليه الكفر؟!، ولما ذكر عجائب الصنع في الطعام، وكان ذلك يقطف؛ فيعود لا سيما المرعى فإنه يأتي عليه الخريف؛ فينشف، ثم يتحطم من الرياح، ويتفرق في الأرض، ثم يصير تراباً، ثم يبعث الله المطر؛ فيجمعه من الأرض بعد أن صار تراباً، ثم ينبته كما كان، وكان ذلك مثل إحياء الموتى سواء؛ فتحقق لذلك ما تقدم من أمر الإنشار بعد الإقبار [١].

المحور الخامس: مشهد مرعب من مشاهد القيامة.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ٣٣ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِئٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ٤٠﴾ [٢].

المناسبة:

لما ذكر الله تعالى هذه الأشياء، وكان المقصود منها أمورا ثلاثة: أولها: الدلائل الدالة على التوحيد وثانيها: الدلائل الدالة على القدرة على المعاد، وثالثها: أن هذا الإله الذي أحسن إلى عبيده بهذه الأنواع العظيمة من الإحسان، لا يليق بالعاقل أن يتمرد عن طاعته وأن يتكبر على عبيده؛ أتبع هذه الجملة بما يكون مؤكدا لهذه الأغراض وهو شرح أهوال القيامة، فإن الإنسان إذا سمعها خاف؛ فيدعوه ذلك الخوف إلى التأمل في الدلائل والإيمان بها والإعراض عن الكفر، ويدعوه ذلك أيضا إلى ترك التكبر على الناس، ويدعوه إلى إظهار التواضع لكل أحد، فلا جرم ذكر القيامة [٣].

---

(١) ينظر: نظم الدرر: ٢٦٧/٢١_ ٢٦٨.

(٢) سورة النازعات، الآيات: ٣٣ _ ٤٢.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٦١/٣١.

وقال الزمخشري: وبدأ بذكر الأخ، ثم بالأبوين؛ لأنهما أقرب منه، ثم بالصاحبة والبنين؛ لأنهم أقرب وأحب، كأنه قال: يفرّ من أخيه، بل من أبويه، بل من صاحبته وبنيه (١).

وما أروع ما قاله البقاعي: ولما كان وصفها بما يقع فيها أهيب؛ قال مبدلاً من «إذا» ما يدل على جوابها من نحو: اشتغل كل بنفسه ولم يكن عنده فراغ ما لغيره: {يوم يفر المرء} أي الذي هو أعظم الخلق مروءة: ولما كان السياق للفرار؛ قدم أدناهم رتبة في الحب والذب فأدناهم على سبيل الترقي، وأخَّر الأوجب في ذلك فالأوجب فقال: {من أخيه} ؛ لأنه يألفه صغيراً وقد يركن إليه كبيراً مع طول الصحبة وشدة القرب في القرابة؛ فيكون عنده في غاية العزة(٢).

ولما كانت الأم مشاركة له في الإلف، ويلزم من حمايتها أكثر مما يلزم الأخ، وهو لها آلف، وإليها أحنّ، وعليها أرق وأعطف قال {وأمه} ، ولما كان الأب أعظم منها في الإلف؛ لأنه أقرب في النوع وللولد عليه من العاطفة؛ لما له من مزيد النفع أكثر ممن قبله قال: {وأبيه} ، ولما كانت الزوجة التي هي أهل؛ لأن تصحب ألصق بالفؤاد، وأعرق في الوداد، وكان الإنسان أذب عنها عند الاشتداد، قال: {وصاحبته} ولعله أفردها؛ إشارة إلى أنها عنده في الدرجة العليا من المودة بحيث لا يألف غيرها.

ولما كان للوالد إلى الولد من المحبة والعاطفة والإباحة – بالسر والمشاورة في الأمر ما ليس لغيره، ويضيع عليه رزقه وعمره؛ قال: {وبنيه} وإن اجتمع فيها الصغير الذي هو عليه أشفق، والكبير الذي هو في قلبه أجل وفي عينه أنبل، ومن بينهما من الذكر والأنثى.

ولما ذكر فراره الذي منعه قراره؛ علله فقال: {لكل امرىء} أي: وإن كان أعظم الناس مروءة {منهم يومئذ} أي: إذ تكون هذه الدواهي العظام والشدائد والآلام {شأن} أي أمر بليغ عظيم {يغنيه} أي: يكفيه – في الاهتمام بحيث لا يدع له حصة يمكنه صرفها إلى

---

(١) ينظر: الكشاف: ٤/٧٠٥.

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٢١/٣٧٠_ ٢٧٣.

غيره، ويوجب له لزوم المغنى، وهو المنزل – الذي يرضيه مع أنه يعلم أنه يتبعونه ويخاف أن يطالبوه؛ لما هم فيه من الكرب بما لعله قصر فيه من حقوقهم(١).

ولما ذكر اليوم، قسَّم أهله إلى القسمين المقصودين بالتذكرة أول السورة؛ فقال دالاً على البواطن بأشرف الظواهر: {وجوه يومئذ} أي: إذ كان ما تقدم من الفرار وغيره {مسفرة} أي: بيض مضيئة بالإشراق والاستنارة، من أسفر الصبح – إذا أشرق واستنار، {ضاحكة}؛ لما علمت من سعادتها {مستبشرة } أي: طالبة للبشر وهو تغير البشرة من السرور وموجدة لذلك، وهي بيضاء نيره بما يرى من تبشير الملائكة، وذلك بما كانت فيه في الدنيا من عبوس الوجوه وتغيرها وشحوبها من خشية الله تعالى، وما يظهر من جلاله في الساعة كابن أم مكتوم رضي الله عنه، الذي كان يحمله خوف الساعة على حمل الراية في أشد الحروب كيوم القادسية والثبات بها حتى يكون كالعمود، لا يزول عن مركزه أصلاً؛ ليرضي المعبود(٢).

ولما ذكر أهل السعادة الذين هم المقبلون على الخير، المصابون في أنفسهم بما يكفر سيئاتهم ويعلي درجاتهم؛ ذكر أضدادهم فقال تعالى: {ووجوه} وأكد بإعادة الظرف؛ لإزالة الشبهة فقال: {يومئذ} أي إذ وجد ما ذكر {عليها} أي: ملاصقة لها مع الغلبة والعلو {غبرة } أي: اربداد وكأنه بحيث يصير كأنه قد علاها غبار وهي عابسة حذرة وجلة منذعرة؛ مما يلحقها من المشقات، وكثرة الزحام مع رعب الفؤاد، وتذكر ما هي صائرة إليه من الأنكاد الشداد {ترهقها} أي: تغشاها وتقهرها وتعلوها {قترة } أي: كدورة وسواد وظلمة ضد الإسفار فهي باكية عابسة مما كانت فيه.

ولما كان هذا الأمر هائلاً، وكان الفاجر لما علا قلبه من الرين وله من القساوة، قليل الخوف من الأجل، عديم الفكر فيما يأتي به غد؛ لما غلب عليه من الشهوتين: السبيعة والبهيمية بخلاف المتقي في كل ذلك؛ استأنف الإخبار؛ زيادة في التهويل فقال: {أولئك} أي البعداء البغضاء {هم} أي: خاصة لا غيرهم {الكفرة} أي الذين ستروا دلائل الإيمان {الفجرة} أي: الذين خرجوا عن دائرة الشرع خروجاً فاحشاً حتى كانوا عريقين في ذلك الكفر والفجور، وهم في الأغلب المترفون الذين يحملهم غناهم على التكبر والأشر

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٢١/٣٧٠_ ٢٧٣.

والبطر، فلجمعهم بين الكفر والفجور؛ جمع لهم بين الغبرة والقترة، كما يكون للزنوج من البقاعة إذا علا وجوههم غبار ووسخ، فقد عاد آخرها على أولها فيمن يستحق الإعراض عنه ومن يستحق الإقبال عليه [١].

قال صاحب الظلال: "بذلك يتناسق المطلع والختام.. المطلع يقرر حقيقة الميزان. والختام يقرر نتيجة الميزان. وتستقل هذه السورة القصيرة بهذا الحشد من الحقائق الضخام، والمشاهد والمناظر، فهذه هي خاتمة المتاع. وهذه هي التي تتفق مع التقدير الطويل، والتدبير الشامل، لكل خطوة وكل مرحلة في نشأة الإنسان. وفي هذا المشهد ختام يتناسق مع المطلع. مع الذي جاء يسعى وهو يخشى. والذي استغنى وأعرض عن الهدى. ثم هذان هما في ميزان الله"[٢].

(١) المصدر نفسه.

(٢) في ظلال القرآن: ٦/٣٨٣٥_ ٣٨٣٦.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة، والرحلة الممتعة مع كتاب الله تعالى، وتجولي في بساتين العلماء، وجني رحيق ما قالوا في التناسب بين آيات الله تعالى؛ تبينت الوحدة الموضوعية للقرآن بجلاء ووضوح. فلا يسعني إلا أن أقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ (١).

وتوصلت إلى أهم لنتائج المستخلصة من هذه الدراسة هي :

١. الترفق في التعامل مع المدعوين.

٢. أن العمى ليس عمى البصر فحسب؛ بل هنالك من هو أعمى البصيرة؛ إذ لا تنفع قلبه دعوة ولا موعظة؛ لكبره وغروره، وهذا حال أهل العناد والكفر من صناديد قريش.

٣. على الداعي إلى سبيل ربه أن لا يتعجل النتائج، وألّا ينتظر تزكية المدعوين؛ فما عليه سوى البلاغ.

٤. إن في علم المناسبة أعظم ردٍ على الذين يزعمون أن القرآن ليس كلام الله تعالى؛ إذ فيه دلالة على الترابط والتناسق وعدم التناقض والتضاد كما هو الشأن في كلام البشر.

٥. إن علم المناسبات بحاجة إلى مزيد دراسة وبيان، واستخراج اللآلئ المغمورة على صعيد الكتب وعلى صعيد الاستنباط.

اللهم صل على سيدنا محمد عدد ورق الأشجار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار وسلم تسليماً كثيراً.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط/١، ١٣٩٤هـ١٩٧٤م.

٢. أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تح: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/ ١٤١١ هـ.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ.

٤. البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط١/ ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٥. البيان في عدّ آي القرآن، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، تح: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، ط/١، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.

٦. التحرير والتنوير=«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٧. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١/ ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.

٨. تأويلات أهل السنة، لمحمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تح: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١/ ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٩. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢/ ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م..

١٠. التفسير المنير، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، ط١/ – ١٤٢٢ هـ.

١١. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للعلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهروي الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط/١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

١٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

١٣. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز – جدة، ط١/ ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.

١٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/ ١٤١٥ هـ.

١٥. عناية القاضي وكفاية الراضي= حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت:١٠٦٩هـ)، دار صادر – بيروت

١٦. فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت:١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١/ – ١٤١٤ هـ.
١٧. في ظلال القرآن، في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط١٧/ – ١٤١٢ هـ.
١٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٩. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط/١، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م
٢٠. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣/ – ١٤١٤ هـ.
٢١. مباحث في علوم القرآن، مباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان (ت: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣/١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.
٢٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت: ٥٤٢هـ، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان – ط١/ ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م.
٢٣. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣/ ١٤٢٠هـ.
٢٤. مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم، دار القلم، ط/٤، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م

٢٥. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت ٣٩٥هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٢٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

Sources and references

The Holy Quran.

1- Perfection in the Sciences of the Qur'an, by Abdul Rahman bin Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH), edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Egyptian General Book Authority, 1st edition, 1394 AH, 1974 AD.

2- The Reasons for Revelation, by Abu Al-Hasan Ali bin Ahmad bin Muhammad bin Ali Al-Wahidi, Al-Naysaburi, Al-Shafi'i (d. 468 AH), edited by: Kamal Bassiouni Zaghloul, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1st edition / 1411 AH.

3- Adwa' al-Bayan fi Ihdāh al-Qur'ān bi al-Qur'an, by Muhammad al-Amin ibn Muhammad al-Mukhtar ibn Abd al-Qadir al-Jakni al-Shanqeeti (d. 1393 AH), Dar al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, year of publication: 1415 AH - 1995 AD.

4- Al-Burhan fi Ulum al-Qur'an, by Abu Abdullah Badr al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahadur Zarkashi (d. 794 AH), edited by: Muhammad Abi al-Fadl Ibrahim, 1st edition/1376 AH - 1957 AD, Dar al-Fikr al-Kutub al-Arabiyah, al-Bab Issa al-Halabi and his partners.

5- Liberation and Enlightenment = "Liberating the Objectives of the Righteous and Enlightening the New Members from the Interpretation of the Glorious Book" by Muhammad Al-Tahir bin Muhammad bin Muhammad Al-Tahir bin Ashour Al-Tunisi (d. 1393 AH), Tunisian Publishing House - Tunisia, year of publication: 1984 AH.

6- Interpretation of the Great Qur'an, by Abu Al-Fida Ismail bin Omar bin Katheer Al-Qurashi Al-Basri and then Al-Dimashqi (d. 774 AH), edited by: Sami bin Muhammad Salama, Dar Taiba for Publishing and Distribution, 2nd edition / 1420 AH - 1999 AD.

7- Al-Tafsir Al-Munir, by Wahba bin Mustafa Al-Zuhayli, Dar Al-Fikr - Damascus, 1st edition - 1422 AH.

8- Interpretation of Gardens of the Spirit and Basil in the Rawabi of the Sciences of the Qur'an, by the scholar Muhammad Al-Amin bin Abdullah Al-Armi Al-Harawi Al-Shafi'i, Al-Basr and reviewed by: Dr. Hashim Muhammad Ali bin Hussein Mahdi, publisher: Dar Touq Al-Najat, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1421 AH - 2001 M

9- Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan, by Abdul Rahman bin Nasser bin Abdullah al-Saadi (d. 1376 AH), edited by: Abdul Rahman bin Mu'alla al-Luwaihiq, Al-Risala Foundation, 1st edition, 1420 AH - 2000 AD.

10- Defending the illusion of confusion about the verses of the Book, by Muhammad al-Amin bin Muhammad al-Mukhtar bin Abdul Qadir al-Jakni al-Shanqeeti (d. 1393 AH), Ibn Taymiyyah Library - Cairo, distributed by: Al-Kharaz Library - Jeddah, 1st edition / 1417 AH - 1996 AD.

11- The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Mathanis, by Shihab al-Din Mahmoud bin Abdullah al-Husseini al-Alusi (d. 1270 AH), edited by: Ali

Abd al-Bari Atiya, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, 1st edition/1415 AH.

12- The Inayat al-Qadi and the Kifayat al-Radi = Hashiyat al-Shihab Ali Tafsir al-Baydawi, by Shihab Ahmad bin Muhammad bin Omar al-Khafaji al-Masri al-Hanafi (d. 1069 AH), Publishing House - Beirut

13- Fath al-Qadir, by Muhammad bin Ali bin Muhammad bin Abdullah al-Shawkani al-Yamani (d. 1250 AH), Dar Ibn Kathir, Dar Kalam al-Tayyib - Damascus, Beirut, 1st edition - 1414 AH.

14- In the shadows of the Qur'an, in the shadows of the Qur'an, by Sayyid Taraf Ibrahim Hussein Al-Sharibi (d. 1385 AH), Dar Al-Shorouk - Beirut - Cairo, 17th edition - 1412 AH.

15- Discovering Facts about Analysis and the Eyes of Sayings in the Faces of Interpretation, by Abu al-Qasim Mahmoud bin Omar al-Zakhshari al-Khwarizmi, ed.: Abdul Razzaq al-Mahdi, Arab Heritage House - Beirut.

16- Al-Lubab fi Ulum al-Kitab, by Abu Hafs Siraj al-Din Omar bin Ali bin Adel al-Hanbali al-Dimashqi al-Numani (deceased: 775 AH), edited by: Sheikh Adel Ahmad Abd al-Mawjoud and Sheikh Ali Muhammad Moawad, publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut/Lebanon, 1st edition. 1419 AH - 1998 AD

17- Lisan al-Arab, by Muhammad bin Makram bin Ali, Abi al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari al-Ruwaifi'i al-Ifriqi (d. 711 AH), Dar Sader - Beirut, 3rd edition - 1414 AH.

18- Investigations in the Sciences of the Qur'an, Investigations in the Sciences of the Qur'an, by Manna bin Khalil Al-Qattan (d. 1420 AH), Al-Ma'arif Library for Publishing and Distribution, 3rd edition/1421 AH - 2000 AD.

19- The Brief Editor in the Interpretation of the Mighty Book, by Abu Muhammad Abd al-Haqq bin Ghalib bin Atiya al-Andalusi, d. 542 AH, edited by: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Lebanon - 1st edition / 1413 AH - 1993 AD.

20- Keys to the Unseen = Interpretation, by Abu Abdullah Al-Kabir Muhammad bin Omar bin Al-Hasan bin Al-Hussein Al-Taymi Al-Razi, nicknamed Fakhr Al-Din Al-Razi, the Khatib Al-Ray (d. 606 AH), Dar Al-Turath Al-Arabi - Beirut, 3rd edition / 1420 AH.

21- Dictionary of Language Standards, by Abu Al-Hussein Ahmad bin Faris bin Zakaria, beginning 395 AH, edited by Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Jeel, Beirut - Lebanon, 1420 AH - 1999 AD.

22- Nazm al-Durar fi Tasnab al-Ayat al-Surah, by Ibrahim bin Omar bin Hassan al-Ribat bin Ali bin Bakr al-Hasharat (d. 885 AH), Dar al-Kitab al-Islami, Cairo.